LISANIA: Journal of Arabic Education and Literature
P-ISSN: 2614-4425 E-ISSN: 2580-1716
Vol.6, No.1, 2022, pp.103-125
DOI: http://dx.doi.org/10.18326/lisania.v6i1. 103-125

‘Amaliyah al-Ittiṣāl al-Lugawi fī Qaṣaṣ Sūrah al-Kahfi

عملية الاتصال اللغوي في قصص سورة الكهف

Aly Aulia
Universitas Muhammadiyah Yogyakarta
alydunk@gmail.com

ENGLISH ABSTRACT

The Qur'an, a holy book revealed by Allah SWT, contains the rules and stories of the previous people to strengthen the truth of Islam. In these stories, there is communication between important figures of the previous people, which contains beautiful literary values so that humans easily understand them. One of them is surah al-Kahf which summarizes four important stories: Ashabul Kahf, Owner of two gardens, Musa and Khidlir, and Dzulqarnain, which contain many unusual functional sentences which show the miraculous factor of the Qur'an from a linguistic perspective. This study aimed to reveal communication (speech) acts and the influence of context on word choice and coherence on the principles of speech contained in the story in finding a model of polite speech acts and felt by the interlocutor more lightly. This research was a pragmatic study that used descriptive qualitative methods through a literature review. In order to describe this speech behavior, this study used the speech acts theory developed by Searle. The analysis showed that various speech acts were performed, namely assertive, directive, commissive, expressive, and declarative, with a specific form of expression or language.

Keywords*: The Qur’anic Balaghah, Stories of Surah al-Kahf, Communication (Speech) Act*

INDONESIAN ABSTRCT

Al Qur’an yang merupakan kitab suci yang diturunkan Allah swt berisikan aturan dan kisah-kisah umat terdahulu untuk memperkuat kebenaran Islam. Pada kisah-kisah tersebut terdapat komunikasi antara figur-figur penting umat terdahulu yang mengandung nilai kesusasteraan yang indah agar mudah dipahami oleh manusia. Salah satunya surah al-Kahfi yang merangkum empat kisah penting yaitu Ashabul Kahfi, Pemilik dua kebun, Musa dan Khidlir dan Dzulqarnain, yang terdapat banyak kalimat fungsional yang tidak biasa, yang menunjukkan faktor mukjizat Al-Qur'an dari sisi kebahasaan. Penelitian ini bertujuan mengungkap tindak komunikasi (tutur) dan pengaruh konteks terhadap pilihan kata dan koherensi pada prinsip bertutur yang terdapat pada kisah dalam menemukan model tindak tutur yang santun dan dirasakan oleh lawan tutur lebih ringan. Penelitian ini merupakan kajian pragmatik yang menggunakan metode kualitatif yang bersifat deskriptif melalui tinjauan studi pustaka.

Agar prilaku bertutur ini dapat dideskripsikan, penelitian ini menggunakan teori *speech acts* yang dikembangkan Searle. Berdasarkan analisis menunjukkan adanya keragaman jenis tindak tutur yang dilakukan, yaitu asertif, direktif, komisif, ekspresif dan deklatatif dengan kekhasan bentuk ungkapan atau gaya bahasa.

Kata kunci: Balaghah al-Qur'an, Kisah Surah al-Kahfi, Tindak Komunikasi (Tutur)

المقدمة

القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز ولو بسورة منه (عتر، ٢٠١٢: ١٠-١٢). وكلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى وعلى كلام اللفظي بمعنى أنه خلقه وليس لأحد في أصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة رضي الله عنها: "ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى" (الباجوري، ٢٠١٢: ١٢٩-١٣٠).

أما البلاغة لغة الوصول والانتهاء. لذا فبلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته أي السلامة من تنافر الحروف ومخالفة القياس والغرابة. وبلاغة المتكلم هي ملكة يقتدر المتلكم بها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في غرض كان (حنفي بك وأصدقائه، ٢٠١٤: ١٢٩-١٣١).

فبلاغة القرآن الكريم تحمل من معاني الهداية التي سحرت العرب في بدء الإسلام وأخذ بألبابهم. فكانت أكبر حافز لهم للهداية وهي التي شهد لها الكتاب والشعراء في كافة العصور بتفوقها وعدم استطاعة مجاراتها. فلذلك أخذ القرآن الكريم مواد القصص من أحداث التاريخ وقائعه لكنه يعرض عرضا أدبيا ويسوقها سوقا عاطفيا يبين المعاني ويؤيد أغراض الدعوة ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا يستثير منها العاطفة والوجدان (طبارة، ١٩٨٦: ٢٥٢-٢٥٣).

واستخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- القصة في دعوته لتبليغ رسالته، ودعوة الناس إلى نور الإسلام. وقد جاء القصص القرآني متنوعاً بتنوع الموضوعات؛ خصوصا سورة الكهف تذكر القصص منها قصة النبي موسى عليه السلام والنبي خضر عليه السلام لدعم الإجابات المتعلقة بالروح وأصحاب الكهف وذي القرنين. وتلميحا إلى أن هذه الشخصيات هم أنبياء وأشخاص يؤمنون بالله سبحانه وتعالى (السيوطي، ٢٠٠١: ١٠٥-١٠٦). توضح آيات سورة الكهف من عملية الاتصال اللغوي. ومع ذلك هناك معاني ورسائل أخرى يمكن اقتفاء أثرها من خلال العناصر البلاغية.

لتدليل على أصالة هذا البحث، نبذل جهدنا، للعثور على البحوث المتعلقة بالموضوع. من سياق سورة الكهف وقصصها، هناك الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة بها، من بينها البحث العلمي لفتحية فتاحيزاده ومرزية زكيري بالموضوع منهج بنيوي فى سورة الكهف. يهدف هذا البحث إلى تعبير كل سورة، مثل سورة الكهف، بمثابة هيكل ونظام يتضمن وحدتين هيكليتين: الهيكل الرسمي وهيكل المعنى. تتكون كل واحدة من هاتين الوحدتين من بنية سطحية وبنية عميقة بحيث تكون الأولى منفصلة بينما تكون نتيجة الثانية هي المسافة. يحتوي الهيكل السطحي الرسمي للسورة على معجم ونحو وتناغم الآيات. يتضمن الهيكل الرسمي العميق الجوانب الفنية للسورة. تم حساب بنية السطح الدلالية للسورة لمجموعة من آيات السورة (لفتحية فتاحيزاده ومرزية زكيري، ٢٠١٦).

والبحث العلمي لمحمد إبراهيم بموضوع الإعجاز البلاغي في قضية الحذف في سورة الكهف. يهدف هذا البحث إلى التعرف لمعزى الحذف وما يسعى إلى حقيقته وكشف سبب قضية الحذف والذكر للوصول إلى الدلالة التي تنضوي تحت اللفظ، سواء كانت المحذوفة أو المذكورة التي تبحث في خواص تراكيب الكاتم، ومعرفة تفاوت المقامات. وذلك من خلال تحليل الشواهد التى يستنبطها من آيات سورة الكهف تحليلا بلاغيا (محمد إبراهيم، ٢٠٢٠: ١٣٣).

ومهما يكن فإنه مع عناية الباحثين بالاتصال اللغوي، أو التطرق لعملية التواصل اللغوي بشكل عام، إلا أنني لم أعثر على أي دراسة تناولت تتبع لعملية التواصل اللغوي في قصص سورة الكهف، ومحاولة الاستفادة منها في بناء الفرد و تفاعله مع مجتمعه.

منهجية البحث

اعتمد هذا البحث على دراسة بلاغية تحليلية للاتصال اللغوي بشكل وصفي نوعي ويعني الإجراء الذي ينتج البيانات الوصفية في أشكال عملية الاتصال اللغوي الملحوظ ويمكن الحصول على التقريرات تمكن المسائلة. تم اختيار السلسلة الوصفية لأن هذه الدراسة تهدف إلى وصف عملية الاتصال اللغوي في قصص سورة الكهف باستخدام كيفية تحليل النص والخطاب مع نهج تداخل النص. وذلك لأن النص المراد تحليله وتفسيره هو نصوص من آيات قصص القرآن الكريم. ونحاول الفهم القصص من نظريات التواصلية المعاصرة لأن إحدى ظواهر اللغويات البراغماتية التي يمكن

استخدامها تحليل معنى الجملة هي عملية الاتصال أو تسمى بعملية الكلام (ابتسام، ٢٠١٣: ٢٤١).

هذه العملية هي عرض فردي نفسي، واستمراريته تحددها القدرة اللغوية للمتحدث في التعامل مع المواقف المؤكد (مرجوكو إدريس، ٢٠٠٨: ٢). يصنف سيرل (Searle) عملية الاتصال اللغوي (الكلام) على أساس معايير مختلفة إلى خمسة أنواع، أولا، التحزيم (assertive) هو عملية الاتصال اللغوي (الكلام) تنبيهي يُلزم المتحدث بحقيقة الاقتراح المعبر عنه، على سبيل المثال: التصريح، والإبلاغ، والاقتراح، والتباهي، والشكوى، والإبلاغ، وما إلى ذلك. وثانيا، التوجيه (derrective) هو عملية الاتصال اللغوي (الكلام) تنبيهي يهدف إلى إحداث تأثير في شكل تصرفات شريك الكلام، على سبيل المثال: الأمر، والأمر، والمرافعة، والمطالبة، والطلب، والاقتراح، والدعوة، والمشورة، وما إلى ذلك. وثالثا، التفويض (commissive) هو عملية الاتصال اللغوي (الكلام) التى تربط المتحدث بشكل أو بآخر بفعل ما في المستقبل، على سبيل المثال: الوعد، والشتائم، والعرض، والقول (الصلاة) وما إلى ذلك. ورابعا، التعبير (expressive) هو عملية الاتصال (الكلام) المنطقي الذي يعمل على التعبير عن، أو الكشف، أو الإخطار بالموقف النفسي للمتحدث تجاه الموقف الذي ينطوي عليه الأمر. مثلا: الشكر، والتهنئة، والعفو، واللوم، والثناء، والتعازي، ونحو ذلك. وخامسا، التصريح (declarative) هو عملية الاتصال اللغوي (الكلام) تنبيهي، إذا نجح الأداء، سينتج عنه التوافق بين محتوى الاقتراح والواقع. أمثلة: الاستسلام، والطرد، والإفراج، والتسمية، والتسمية، والحرمان، والتعيين، والتعيين، وتحديد، وفرض العقوبة، والإدانة، ونحو ذلك (نعيمة طهراوي، دون السنة: ١١٦-١٣٤).

لقد كان المنهج في هذا البحث على شرح عملية الاتصال اللغوي وجمع قصص الآيات القرآنية وهي سورة الكهف التي تتصل بموضوع بالإستعانة بكتب اللغة ةالتفسير لشرح ما ورد من المفردات تحتاج إلى توضيح وذكرت من الناحية البلاغية مع تفصيل غني لمظاهر عملية الاتصال اللغوي والكلام في قصص سورة الكهف.

المطلب الأول – أصحاب الكهف

قصة أصحاب الكهف هي إحدى وسائل الاتصال الدعوية باستخدام القصص التاريخية التي يستخدمها المسيحيون لتبرير ونشر تعاليمهم. يقال إن الكهف الذي كان ينام فيه أصحاب الكهف كان في مدينة أبسس، بين حلب وسوريا وأرمينيا وأنطوكيا. تم قمعهم في عهد الإمبراطور دقيوس الذي قاد روما لمدة عام واحد فقط، أي في عام ٢٣٧ م وكان معروفًا أنه معادٍ جدًا للمسيحية. بعد ٣٠٠ عام، يستيقظ أصحاب الكهف في عهد قيصر ثاذيسيوس الذي أصبح مسيحياً (ابن عاشور، بلا سنة: المجلد السادس: ٢٦١-٢٦٢).

القسم الأول – قبل النوم (الآية ١٤-١٦)

سياق الكلام في الآيات يشير إلى أن أصحاب الكهف في بادئ قولهم كانوا في مجلس يصدر عنه الأمر بعبادة الأوثان والإجبار عليها والنهي عن عبادة الله تعالو السياسة المنتحلية بالقتل والعذاب كمجلس الملك أو ملأ عام كذلك فقتموا وأعلنوا مخالفتهم وخرجوا واعتزلوا القوم وهم في خطر عظيم يهددهم ويهجم عليهم من كل جانب. وقد تفرسوا بهدي إلهي أنهم لو فعلوا ذلك عاملهم الله تعالى من لطفه ورحمته بما فيه نجاتهم من تحكم القوم وظلمهم (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٢٤٩-٢٥٠).

هذه الآيات هي قصة عملية الاتصال بين رفيق أصحاب الكهف قبل النوم في الكهف بخصوص أحوال قومهم. قوله تعالى "فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها" إنه إقرار (التصريح) بينهم أن ربهم هو الخالق ومالك كل السماوات والأرض، ولن يدعون (يعبدون) غير الله تعالى.

وقوله تعالى "لقد قلنا إذا شططا" إنه تعبير (التصريح) عن ضغوط ومعاملة قاسية من السلطات على من لا يعبد الأصنام. كلمة (شططا) هي المبالغة على المبالغة (التصريح) بسبب المعاملة القاسية (الجسدية المعنوية) من السلطات لكل من يتخلى عن التعاليم الروحانية. والمعنى قولا ذا شطط أي بعد عن الحق مفرط أو قولا هو عين الشطط والبعد المفرط عن الحق على أنو وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة.

وقوله تعالى"هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ءالهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" إن وضع كلمة (هؤلاء) التي هي اسم الإشارة كمبتدى مع الخبر ، أي شعبهم ، تحقيرا (التصريح) من سلوك شعوبهم لأنهم يعبدون من دون الله سبحانه وتعالى. ومبرر هذه السخرية هو طبيعة شعبهم الذي، إذا قدم تفسيرا واضحا، سيستمر في إنكاره. وقوله تعالى "وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله" إنه اقتراح (التوجيه) من أحد أصحاب الكهف بترك الناس الذين لا يعبدون الله سبحانه وتعالى. و كلمة "هؤلاء" مبتدأ و في اسم الإشارة تحقير لهم و "قومنا" عطف بيان له لا خبر لعدم إفادته ولا صفة لعدم شرطها والخبر قوله تعالى "اتخذوا من دونه" تعالى شأنه "آلهة" أي عملوها ونحتوها لهم. وكلمة "اعتزلتموهم" مقولا فيما بينهم مطلقا خاطب به بعضهم بعضاز والاعتزال تجنب الشيء بالبدن أو بالقلب.

وقوله تعالى"فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا" هذا هو الإجابة (التوجيه) على اقتراح أحد أصحاب الكهف الذي اقترح عليهم الذهاب إلى كهف حتى يتمكنوا من الحفاظ على أرواحهم وعقيدتهم ويصحبهم دائمًا حب الله سبحانه وتعالى. كلمة (مرفقا) هي شكل من أشكال الإحساس بالتوتر (التحزيم) الذي يعيشه أصحاب الكهف في إنقاذ أنفسهم من قسوة الطغاة. وكون "فأووا" إنه دليل الجواب "إذ" أي ذهاب للفراء. و"مرفقا" يجوز أن يكون حالا فيتعلق بمحذوف وتقديم "لكم" لما مر مرارا من الإيذان من أول الأمر بكوم المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر : ٢٧٧-٢٨٠).

تضمّ الآيات الكريمة بأنواع عملية الاتصال اللغوي من التصريح والتوجيه والتحزيم لمناقشة أحوال قوم أصحاب الكهف فأرادوا حفظا على سلامتهم وعقيدتهم من التعذيب والفتن واتفقوا للذهاب إلى الكهف.

القسم الثاني – بعد النوم (الآية ١٩–٢٠)

سياق الكلام في الآيات سياق المحاورة والمجاوبة كما قيل ولازمه كون المتكلمين ثانيا غير المتكلمين أولا ولو كانوا هم الأولين بأعيانهم لكان من حق الكلام أن يقال. وبذلك يظهر أن إحالة

العلم إلى الله تعالى ليس لمجرد مراعاة حسن الأدب كما قيل بل لبيان حقيقة من حقائق معارف التوحيد (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٢٥٦).

هذه الآيات هي قصة عملية الاتصال بين رفيق أصحاب الكهف قبل النوم في الكهف بخصوص أحوال أهلهم. قوله تعالى "قال قائل منهم كم لبثتم؟" سأل زعيمهم ماكسليمينا عن المدة التي قضاها في النوم في الكهف.

وقوله تعالى "قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم" قال بعضهم إنهم ناموا لمدة يوم أو أكثر من بضعة أيام. هذا البيان هو تقدير لذلك لا يمكن تصنيفها على أنها كذبة. لأنهم كانوا مطاردين من قبل قوات الحكام المستبدين حتى دخلوا الكهف في وقت لم تغرب فيه الشمس تمامًا ولم يشعلوا نارًا في الكهف ليلا حتى لا يروا حتى يراها العدو. دخلت الكهف واستولت عليهم. وأخيرا ناموا.

قوله تعالى "قالوا ربكم أعلم بما لبثتم" قال آخرون بالأدب إن الله وحده يعلم كم من الوقت ينامون. وذلك لتجنب الانقسام لأنهم المتعبين والجياع. وقوله تعالى "فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف و لا يشعر بكم أحدا" اقترح أن يتوجه أحدهم إلى المدينة للبحث عن نوع الطعام الحلال (الأرخص والأكثر وفرة والأفضل). كما ينصح بالتحرك بهدوء حتى لا يتم ملاحظتها. قوله تعالى "إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدكم ولن تفلحوا إذا أبدا" تأكيدا أنه إذا عرفه العدو سيرجم (أسوء أشكال التعذيب) ليعود إلى معتقداته الأصلية. جملة (ولن تفلحوا إذا أبدا) هي شكل من أشكال تقوية التحذير من التهديد إذا كانت هوية من يذهبون إلى المدينة معروفة للعدو أيضا تصيب جميع أصحاب الكهف.

وقوله تعالى "كم لبثتم" كأنه قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة وقيل راعهم ما فاتهم من الصلاة. وأجاب "لبثنا يوما أو بعض يوم" أي أن الظاهر حالتهم أنها للشك وللاعتراض مندفع بإرادة ما سمعت منه وهو في ذلك مجاز. وكلمة "ربكم أعلم بما لبثتم" للدر منهم على الأولين على أحسن ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه كما قيل يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقيئا قائل القولين متحد لكن الحالة مختلفة. وتعقب بأنه لا يساعده النظم الكريم فإن الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضى بأن الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة. وكلمة "فابعثوا أحدكم" أي واحدا منكم ولم يقل واحدكم لإيهامه إرادة سيدكم فكثيرأ ما يقال جاء

واحد القوم يراد سيدهم. وكلمة "فليتلطف" الأمر بالتلطف وليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولا وجروجا إلى ومن المدينة. والضمير في "إنهم" تعليلا لما سبق من الأمر والنهي ويرجع الضمير للأهل المقدر أي الكفار. والمقصود من "ولن تفلحوا إذا أبدا" أي إن دخلتم فيما حقيقة ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة. ووجه الارتباط على هذا أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه وبما سقط ما قبل إن إظهار الكفر بالإكراه مع إبطان الإيمان معفو في جميع الأزمان فكيف رتب على عدم الفلاح أبدا ولا حاجة إلى القول بأن إظهار الكفر مطلقا كان غير جائز عندهم (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٢٩٠-٢٩٤).

تضمّ الآيتين الكريمتين بأنواع عملية الاتصال اللغوي من الاستفهام والتصريح والتوجيه والتحزيم لمناقشة أحوال أصحاب الكهف بعد نومهم والنصيحة لأحدهم للذهاب إلى المدينة بحثا عن الطعام بالتسلل خوفا من قومهم.

المطلب الثاني – صاحب الجنتين (الآية ٣٥-٤٤)

سياق الكلام في الآيات تحضيض وتوبيخ لصاحب الجنتين من قبل أخيه الذي نسب الأمر كله إلى مشيئة الله تعالى ويقصر القوة في الله تعالى مبنيا على ما بينه له أن كل نعمة بمشيئة الله ولا قوة إلا به. فندم صاحب الجنتين على كفره وعدم الشكر على نعمة الله تعالى عليه (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٣١١-٣١٣).

قوله تعالى "قَالَ لَه صَاحِبُه وَهُوَ يُحَاوِرُه اَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوّٰىكَ رَجُلًا" الاستفهام في الكلمة (اَكَفَرْتَ) للإنكار والإستبعاد لأن خلقه الله تعالى من تراب ثم نطفة ثم تسويته رجلا يقتضي منه الإيمان بهذا الخالق العظيم وإخلاص العبادة له وشكر على نعمائه. وقوله تعالى "لٰكِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّيْ وَلَا اُشْرِكُ بِرَبِّيْ اَحَدًا" الإعلان للموقف بالشجاعة والوضوح. المراد من قوله تعالى "أكفرت بالذي خلقك من تراب" انطواء إجماليا مستتعبا لجريان آثار الخلق على الكل فإسناد الخلق من تراب إلى ذلك الكافر حقيقة باعتبار أنه مادة أصله وكونه مبنيا على صحة قياس المساواة خيال واه. وقوله تعالى "ولا أشرك بربي أحدا" عطف على إحدى الجملتين والاستدراك على كلمة "أكفرت" ومخلص المعنى لمكان الاستفهام الذي هو للتقرير على سبيل الإنكار أنت كافر بالله تعالى

لكني مؤمن موحد. وقال الإمام ابن كثير قوله تعالى (اِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ) تحضيض وحث عند دخول الجنة والمراد بالحسبان هنا العذاب من السماء وهو الحكم بتخريبها والمراد هنا عديم النفع والتحصيل. ومعنى قوله تعالى "ولو لا إذ دخلت جنتك قلت" أنه حض على القول وتوبيخ على تركه وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان يتحتم القول في آن الدخول من غير ريث "لا" للقصر وجاز تقديمه لذلك وجعله فاضلا بين "لولا" وفعلها لتوسعهم في الظروف أي هلا قلت عندما دخلتها "ما شاء الله" أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله تعالى كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل إما على أنها خبر مبتدأ محذوف أو على أنها مبتدأ محذوف الخبر.

والجملة قوله تعالى (فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى مَا اَنْفَقَ فِيْهَا) كناية عن الحسرة الشديدة والندم العظيم. وهذا حال أكثر الناس يذكرون الله تعالى عند شدائد المحن وينسون عند السراء والعافية. والجملة (وَيَقُوْلُ يلَيْتَنِيْ) تقرير وتأكيد للآية السابقة والولاية بفتح الواو بمعنى الموالاة والصلة والنصرة. والكلمة (ثَوَابًا) و(عُقْبًا) منصوبا على التمييز لكثرة الاستعمال كما قال ابن مالك : وغالبا أغناهم – خير وشر– وعن قولهم أخير منه وأشر. كما بينت لنا الآثار الطيبة التي تترتب على الإيمان والعمل الصالح والآثار السيئة التي يفضي إليها الكفر وسوء العمل كما بينت لنا أن المتفرد بالولاية والقدرة هو الله تعالى فلا قوة إلا قوته ولا نصر إلا نصره ولا مستحق للعبادة أحد سواه ولا ثواب أفضل من ثوابه ولا عاقبه لأوليائه خير من العاقبة التي يقدرها لهم (طنطاوي، بلا سنة: ١٠٣–١١٥).

وفي قوله تعالى "فأصبح يقلب كفيه" أنه يحتمل أن يكون أصبح بمعنى صار فلا تدل على تقييد الخبر بالصباح ومعنى تقليب الكفين على ما استظهره أبويان أن يبدى بطن كل منهما ثم يعوج يده حتى يبدو ظهر كل ما يفعل ذلك مرارا. فإن ذلك مجاز عن الانتقال من بعض الأحاديث إلى بعض. ولكونه كناية عن الندم عدي بعلى في قوله تعالى "على ما أنفق فيها" فالجار والمجرور ظرف لغوي متعلق بيقلب كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق ومنه يعلم أنه يجوز في الكناية أن تعدى بصلة المعنى الحقيقي. وكلمة "ويقول" عطف على "يقلب" وجوز أبو البقاء وغيره أن يكون حالا من الضمير المستتر فيه بتقدير وهو يقول لأن المضارع المثبت لا يقترن بالواو الحالية إلا شذوذا. وقوله تعالى "هو خير ثوابا وخير عقبا" أي غاقبة لأوليائه ووجه ذلك أن آية ختمت بحال الأولياء فيناسب

أن يكون ابتداؤها كذلك (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٣٤٨-٣٥٤).

تضمّ الآيات الكريمة بأنواع عملية الاتصال اللغوي من التعبير والتصريح والتوجيه والتفويض لمناقشة الحوار بين صاحب الجنتين مع أخيه وهما من بني إسرائيل عن النعم في الدنيا والآخرة وعذاب الله تعالى في الدنيا لمن لم يشكر والعقاب في الآخرة أشد العقاب.

المطلب الثالث – قصة موسى وخضر

الفتى الذي رافق رحلة النبي موسى عليه السلام التقى بالنبي خضر عليه السلام، ثم تركها هو يوشع بن نون بن أفرايم بن نبي يوسف عليه السلام. قيل أن الإسم الأصلي هوشع ثم تغيّر بعد التطلع على المدينة بأمر النبي موسى عليه السلام. وعمره ١١٠ سنة (ابن عاشور، بلا سنة: المجلد السادس: ٣٥٩-٣٦٠).

هناك العديد من الآراء حول موقع ملتقى البحرين حيث التقى النبي موسى والنبي خضر عليه السلام، من بين أمور أخرى ، بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط (بحر مرمرة)، طانجة. وأرمينيا وأفريقيا. كان وجود النبي خضرر قبل النبي موسى عليه السلام، وظهر أيضًا في بداية فترة الذول القرنين. بدأ لقاء النبي موسى عليه السلام مع النبي خضر عليه السلام مع حوار النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل الذي سأل من هو أكثر الناس تقوى (طاعة للعبادة واكتساب المزيد من العلم من الله سبحانه وتعالى)، فأجاب النبي موسى عليه السلام، كان هذا الرقم هو نفسه. ثم وبخ الله سبحانه وتعالى النبي موسى عليه السلام أن عبده هو أكثر تقوى، أي النبي خضر عليه السلام الذي يجلس على صخرة بين البحرين (أبو السعود العامري الحنفي، ٢٠١١: ٥١٢-٥١٣).

القسم الأول – موسى و يوسع بن نون (الآية ٦٠-٦٤)

سياق الكلام في الآيات أن النبي موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون و هو النبي بعده في طريقهما إلى الخضر عليه السلام وطعمهما الحوت ولم تذكر الآيات السابقة صريحا في حالة الحوت حيا أم ميتا ولما قربا البحر رأى الفتى أن الحوت يغوص في البحر ونسي أن يذكر ذلك لموسى نسي موسى أن يسأل عنه. ولا ضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان بنيا

والأنبياء في عصمة إلهية من الشيطان لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٣٣٥-٣٣٦).

قوله تعالى "وَاِذْ قَالَ مُوْسى لِفَتهُ لَا اَبْرَحُ حَتّى اَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ اَوْ اَمْضِيَ حُقُبًا" وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى عليه السلام لأنه سيذكر بعد وهو حذف إيجاز وتشويق وله موقع عظيم في حكاية القصة لإخراجها عن مطروق القصص إلى أسلوب بديع الحكم والأمثال قضاء لحق بلاغة الإعجاز.

وقوله تعالى "فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيْلَه فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتهُ اتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هذَا نَصَبًا" أراد شحذ عزيمة فتاه لتسويه في صحة العزم حتى يكونا على عزم متحد. وقوله تعالى "قَالَ اَرَاَيْتَ اِذْ اَوَيْنَا اِلَى الصَّخْرَةِ فَاِنِّيْ نَسِيْتُ الْحُوْتَ وَمَا اَنْسانِيْهُ اِلَّا الشَّيْطانُ اَنْ اَذْكُرَه وَاتَّخَذَ سَبِيْلَه فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" النسيان الثاني غير النسيان الثاني وهو ذكر الإخبار عنه والذكر في الآية ذكر اللسان. وقوله الله تعالى (عجبا) جملة مستأنفة وهي من حكاية قول الفتى أي أعجب له عجبا (ابن عاشور، بلا سنة: المجلد السادس: ٣٦٧-٣٧٠). والمراد في قوله تعالى "لا أبرح" من برح الناقص كزال يزال أي أزال أسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى "حتى أبلغ" إذ الغاية لا بد لها من مغيا والمناسب لها هنا السير وفيما بعد أيضا ما يدل على ذلك. وقوله تعالى "لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" أي تعبا وإعياء و "هذا" إشارة إلى سفرهم الذي هم ملتبسون به ولكن باعتبار بعض أجزائه. وكلمة "فإني" في قوله تعالى تأكيدا للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي لأن الرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالإستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي تكاد تنسى.

والمراد من قوله تعالى "وما أنسانيه إلا الشيطان" لعله شغله بوسواس في الأهل ومفارقة الوطن فكان ذلك سببا للنسيان بتقدير العزيز العليم وإلا فتلك الحال مما تنسى. وقوله تعالى "أن أذّكره" بدل اشتمال من الهاء أي ما أنساني ذكره لك إلا الشيطان قبل وفيه تعليق الفعل بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على طريق الإبدال المنبئ عن تنحيته المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر أمره. وقوله تعالى "عجبا" صفة مصدر محذوف أي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه

كالطاق والسرب وجوز أيضا على احتمال كون الظرف مفعولا ثانيا أن ينصب بفعل منه مضمر أي أعجب عجبا (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٣٩٠-٤٠٠).

تضمّ الآيات الكريمة بأنواع عملية الاتصال اللغوي من التفويض والتحزيم لمناقشة قصة النبي موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون في رحلتهما بحثا عن النبي الخضر عليه السلام طلبا للعلم.

القسم الثاني – موسى و خضر (الآية ٦٥-٨٢)

سياق الكلام في الآيات مليئ بآداب التعلم والتعليم. و قد أتى موسى عليه السلام من الخلق والأدب البارع الحري بالمتعلم المستفيد قبال الخضر بأمر عجيب وهو كليم الله تعالى موسى بن عمران الرسول النبي أحد أولى العزم صاحب التوراة. فكلامه موضوع على التواضع من أوله إلى آخره. وقد تأدب معه أولا فلم يورد طالبه منه التعليم في صورة الأمر بل في صورة الإستفهام هضما لنفسه ومسى مصاحبته اتباعا منه له ثم لم يورد التعليم في صورة الإشتراط ثم عاد نفسه متعلما فثم أعظم قدر علمه إذ جعله منتسبا إلى مبدأ غير معلوم و لم يعينه باسم أو نعت. (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٣٣٩). وقد تأدب الخضر معه إذ لم يصرح بالرد بل أشار إليه بنفي استطاعته على الصبر ثم لما وعده موسى بالصبر إن شاء الله تعالى لم يأمره بالإتباع بل خلى بينه وبين ما يريد (فيصل، ٢٠١١: ٢٣٦).

قوله تعالى "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا اتَيْناهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَه مُوسى هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" سوق الكلام بالسؤال في غاية التواضع. أوضح الشيخ محمد سيد طنطاوي بأن المراد من (عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا) هو الخضر عليه السلام والتنكير للتفخيم والإضافة للتشريف والتكريم له و المراد من (وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا) أي علما خاصا من عند الله تعالى. وسمي الخضر كما روي في الحديث لأنه حين جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه حضراء. وروى المحققون من العلماء أنه قد مات كما يموت سائر الناس وروى آخرون أنه ما زال حيا وسيموت في آخر الزمان (طنطاوي، بلا سنة: ١٦١-١٦٢). وقوله تعالى "قَالَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ بِه خُبْرًا" التأكيد على نفي على الإستطاع في الصبر.

معنى قوله تعالى "هل أتبعك على أن تعلمن" استأذن منه عليه السلام في اتباعه له بشرط التعليم ويفهم ذلك من "على" فقد قال الأصوليون: "إن على قد تستعمل في معنى يفهم منه كون ما

بعدها شرطا لما قبلها وكونها للشرط بمنزلة الحقيقة عند الفقهاء والحق أنه استعمال صحيح يشهد به الكتاب حقيقة كان أو مجازا ولا ينافي انفهام الشرطية تعلق الحرف بالفعل الذي قبله فيكون المعنى هل أتبعك باذلا تعليمك إياي". وقوله تعالى "لن تستطيع معي صبرا" نفي لأن يصبر معه على أبلغ وجه حيث جيء بإن المفيدة للتأكيد وبـ "لن" و نفيها آكد من نفي غيرها و نكر "صبرا" في سياق النفي و ذلك يفيد العموم أي لا يصبر معي أصلا شيئا من الصبر.

وقوله تعالى "قَالَ سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللّٰهُ صَابِرًا وَّلَا اَعْصِيْ لَكَ اَمْرًا" توسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن وعدم التوهم بالصبر مع الوعد للوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان. والمراد قوله تعالى "ستجدني إن شاء الله صابرا" معك عير معترض عليك "ولا أعصي لك أكرا" عطف على "صابرا" والفعل يعطف على المفرد المشتق وفيه التأويل في جانب المعطوف أي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في نفس الصبر وترك العصيان أو على "ستجدني" والجملة على الأول في محل نصب لأنها معطوفة على المفعول الثاني للوجدان وعلى الثاني لا محل لها من الإعراب.

قوله تعالى "قَالَ فَاِنِ اتَّبَعْتَنِيْ فَلَا تَسْئَلْنِيْ عَنْ شَيْءٍ حَتّٰى اُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" الحروف (الفاء) لتفريغ الشرطية لعدم اتتفاح بالسؤال عن الحكمة عن المناقشة والاعتراض حتى ابتداء بالبيان حكمة وغاية بحميدة البينة وهذا من أدب المتعلم مع العالم. قوله تعالى "فَانْطَلَقَا حَتّٰى اِذَا رَكِبَا فِى السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا قَالَ اَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا" تعظيم الهائل بالسؤال لأن الأمر وهو إغراق السفينة أمر عظيم. والمراد بالفاء في قوله تعالى "فإن اتبعتني" لتفريغ الشرطية على ما مرّ من وعد موسى عليه السلام بالصبر والطاعة في قوله تعالى "فلا تسألني عن شيء" تشاهده من أفعال فضلا عن المناقشة والاعتراض. وأوضح قوله تعالى "اَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا" أن موسى عليه السلام حسن الظن بالخضر أو للتعليل بناء على أنه الأنسب بمقام الإنكار وقرأ الحسن "لتغرق" بالتشديد لتكثير المفعول ولم يقل أمرا إمرا مع ما فيه من التجنيس لأنه تكلف لا يلتفت إلى مثله في الكلام البليغ. واستخدم المتطرفون والتكفيريون دليلا وتبريرا لتخريب وتدمير منشئآت البلاد والوطن. فالخضر فعل ذلك بأوامر الوحي من الله تعالى فليس بالأهواء و قد ضمن الله تعالى سلامة الركاب من الغرق و الظلم من قبل الملك الغاصب. أما المتطرفون دمروا البلاد ومنشئآت الوطن وقتل الأبرياء بأهوائهم

وأوهامهم ومفاهيمهم الخاطئة عن الدين (زهرة ناريماني وجعفر فيروزماندي باندبي وزهرة جوادي نصر، ٢٠٢١: ٤٤-٤٦).

وقوله تعالى "قَالَ اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا" تذكير وتحقيق لمضمون متضمن للانكار على عدم الوفاء بالوعد. وقوله تعالى "قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِيْ بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقْنِيْ مِنْ اَمْرِيْ عُسْرًا" وإخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لبسط عذره في الانكار. وقوله تعالى "اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ" متضمن للإنكار على عدم وقوع الصبر منه عليه السلام. وقوله " وَلَا تُرْهِقْنِيْ" أي لا تغشني ولا تحملني "مِنْ اَمْرِيْ" وهو اتباعه إياه "عُسْرًا" أي صعوبة وهو مفعول ثاني لـ "ترهقني" والمراد لا تعسر عليّ متابعتك ويسرها على الإغضاء وترك المناقشة. وقوله تعالى "فَانْطَلَقَا حَتّٰٓى اِذَا لَقِيَا غُلٰمًا فَقَتَلَه قَالَ اَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" تخصيص النفي بالسؤال للإنكار هذا المبيح بالذكر لأن القتل أهون من إغراق السفينة.

وقوله تعالى "قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا" زيادة (لك) لتأكيد التقدير عن عدم الإستطاع بالصبر (الكرماني، بلا سنة: ١٧٠). والمراد من قوله تعالى " اَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً" أي طاهرا من الذنوب فإن البالغ قلما يزكو من الذنوبز وقرأ الحسن وزيد بن علي والجحدري وابن عامر والكوفيون "زكية" بالتشديد لأنه صفة مشبهة دالة على الثبوت مع كون فعيل المحول من الفاعل الذي يدل على المبالغة. وزيادة "لك" في قوله تعالى " اَلَمْ اَقُلْ لَّكَ اِنَّكَ" لزيادة المكافحة على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتأكيد حتى زاد في النكير في المرة الثانية.

وقوله تعالى "قَالَ اِنْ سَاَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصاحِبْنِيْ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَّدُنِّيْ عُذْرًا" عبارة عن الاستخياء في الاعتذار. وقوله تعالى "فَانْطَلَقَا حَتّٰٓى اِذَا اَتَيَا اَهْلَ قَرْيَةِ اسْتَطْعَمَا اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ يُّضَيِّفُوْهُمَا فَوَجَدَا فِيْهَا جِدَارًا يُّرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ فَاَقَامَه قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا" القرية هي أنطاكية وقيل أيلة وقيل برقة وقيل أندلس وأهلها لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه. والكلام تحريضا على أخذ الجعل. والمراد من قوله تعالى "فلا تصاحبني" أنه المبالغة في النهي أي فلا تكن صاحبي البتة وهذا يؤيد كون المراد من النهي فيما لا تأكيد فيه التحريم والمراد به الحزم بالترك والمفارقة لا الترخيص على معنى إن سألتك بعد فأنت مرخص في ترك صحبتي. والمراد من قوله تعالى

"لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا" التحريض من موسى عليه السلام للخضر عليه السلام وحثا على أخذ الجعل والأجرة على فعله ليحصل لهما بذلك الانتعاش والتقوى بالمعاش فهو سؤال له لم يأخذ الأجرة؟ واعتراض على ترك الأخذ فالمراد لازم فائدة الخبر إذ لا فائدة في الإخبار بفعله.

وقوله تعالى "قَالَ هذَا فِرَاقُ بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيْلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا" إضافة المصدر إلى الظرف توسعا للموعود بالفراق والحروف (السين) للتأكيد لعدم تراخي التنبئة والنأويل رجع الشيء إلى مآله. والمراد هنا المآل والعاقبة وهو المنبأ به دون التأويل. وقوله تعالى "اَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَساكِيْنَ يَعْمَلُوْنَ فِى الْبَحْرِ فَاَرَدْتُّ اَنْ اَعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَّأْخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْبًا" اختلف كلمة (ملك) عن (مالك) التي تعني ملكًا لا يمتلك فقط بل يتحكم. في هذه الأثناء (ملك) تعني الامتلاك فقط وقوته ليست واسعة مثل المالك. لذلك يمكن القول أن التهديد هو ملك صغير أو حاكم منطقة تقع تحت رعاية مملكة كبيرة (العسكري، ٢٠١٨: ٢٠٦). قيل اسم الملك هو جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الأزدي (أبو السعود، ٢٠١١: ٥٢٠). تخليص السفينة بالإيعاب والضمير للمتكلم لتحقيق سلامة ركابها خوفا من الغصب.

وقوله تعالى "وَاَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ اَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِيْنَا اَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَّكُفْرًا فَاَرَدْنَا اَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكوةً وَّاَقْرَبَ رُحْمًا" التعرض لعنوان التربية والإضافة إليهما ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخيرإليهما طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. وقيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يده أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا.

وقوله تعالى "وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيْمَيْنِ فِى الْمَدِيْنَةِ وَكَانَ تَحْتَه كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ اَبُوْهُمَا صَالِحًا فَاَرَادَ رَبُّكَ اَنْ يَّبْلُغَا اَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ" إضافة الربّ إلى ضمير المخاطب للتنبيه له على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادة الله تعالى ووجوب الاحتزاز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة. وقوله تعالى "وَمَا فَعَلْتُه عَنْ اَمْرِيْ ذلِكَ تَأْوِيْلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا" الإشارة هي للعواقب المنظومة في سلك البيان والبعد للإيذان ببعد درجتها في فخامة الله تعالى. وحذف الحروف (التاء) في الكلمة (لَمْ تَسْطِعْ) للتخفيف إنجازا للتنبئة الموعودة (أبو السعود، ٢٠١١: ٥١٥– ٥٢٢). فالتكرير للتنكير وتشديد العتاب (الكرماني، بلا سنة: ١٧١).

والسين في قوله تعالى "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيْلِ" أنه السين المستقبلية للتأكيد لعدم تراخي الإنباء أي أخبرك البتة والتأويل رد الشيء إلى مآله والمراد به هنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل بالمعنى المذكور. والمراد بقوله تعالى " فَاَرَدْتُّ اَنْ اَعِيْبَهَا" أي أجعل السفينة ذات عيب بالخرق ولم أرد إغراق من بها كما حسبت ولإرادة هذا المعنى جيء بالإرادة ولم يقل فأعبتها وهذا ظاهر في أن اللام في الاعتراض للتعليل ويحتاج حملها على العاقبة إلى ارتكاب خلاف الظاهر هنا كما لا يخفى على المتأمل. والفاء في قوله تعالى "فَاَرَدْنَا اَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ" للتفريغ يفيد سببية الخشية للإرادة المذكورة ويفهم من تفريع القتل ولم يفرعه نفسه مع أنه المقصود تأويله اعتمادا على ظهور انفهامه من هذه الجملة على ألطف وجه وفيها إشارة إلى رد ما يلوح به كلام موسى عليه السلام من أن قتله ظلم وفساد في الأرض. والمراد بقوله تعالى "فَاَرَادَ رَبُّكَ" أي مالكك ومدبر أمورك ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه السلام دون ضمير هما تنبيه له على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبهما التي يشم منها طلب ما يحصل به تربية البدن وتدبيره. و"ذلك" إشارة إلى ما ذكر من العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الفخامة. وقوله تعالى "لا تسطع" أي تستطع وهو مضارع اسطاع بهمزة الوصل وأصله استطاع على وزن استفعل ثم حذف تاء الافتعال تخفيفا وبقيت الطاء التي هي أصله وخصّ بالتخفيف للإشارة إلى أنه خف على موسى عليه السلام ما لقيه ببيان سببه (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٤١٥-٤٤٨).

تضمّ الآيات الكريمة بأنواع عملية الاتصال اللغوي من الاستفهامية والتعبير والتحزيم والتفويض والتصريح والتوجيه لمناقشة رحلة العلمية بين موسى عليه السلام والحضر عليه السلام لتعليم موسى عليه السلام من العلم والآداب في طلب العلم.

المطلب الرابع – ذو القرنين

هناك العديد من الآراء حول هوية ذي القرنين إلى جانب الإسكندر الأكبر المقدوني منها (١) مربزان بن مردابة (من نسل يافث بن نوح عليه السلام) و(٢) عبد الله بن عادل و(٣) مصعب بن عبد الله بن فينان بن منصور بن عبد الله بن الآزر بن عون بن زيد بن كحلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان و(٤) مربزان بن مدركة أول حاكم للتبابعة اليمن و(٥) أبو كرب سمي بن عرين بن

أفريقيس الحميري (أبو السعود، ٢٠١١: ٥٢٤). وذلك لوجود رأي مفاده أن ذو القرنين نبي وأن الآراء الأخرى تنفي ، ولكن لها تأثير المسافة بين شروق الشمس وغروبها ، وغالبًا ما يسافر إلى مناطق مختلفة من العالم. كلمة (مكّنّا) في الآية ٨٤ من سورة الكهف هي إعطاء شخص ما السلطة للقيام بعمل ما دون إعطائه الحق في السيطرة مثل الملك (العسكري، ٢٠١٨: ٢١٦).

القسم الأول – الله تعالى و ذو القرنين (الآية ٨٦–٨٨)

سياق الكلام في الآيات الاتصال بين الله تعالى وذي القرنين عن القوم الذي التقاه. وقوله تعالى "وقلنا يا ذا القرنين" لا يدل على كونه نبيا يوحى إليه لكونه قوله تعالى أعم من الوحي المختص بالنبوة كما أورد في سياق الغيبة بالنسبة إليه تعالى من إشعار بأن مكالمته كانت بتوسط نبي كان معه في ملكه نظير ملك طالوت في بني إسرائيل بإشارة من نبيهم وهدايتهم (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٣٥٦). تناقش هذه القصة الاتصال بين الله سبحانه وتعالى وذي القرنين القوم الذين التقى بهم قبل بناء السد لحصار يأجوج ومأجوج. قوله تعالى "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب و إما أن تتخذ فيهم حسنا" يعطي كلمة الله سبحانه وتعالى خيارًا لذي القرنين لاختيار مصير شعبه، من خلال مقارنة المبالغة، سواء كانوا يعاقبون بالموت أو ذو القرنين يعظهم ويعلمهم الشريعة الإسلامية.

وقوله تعالى "قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى" إنه الرد لذي القرنين إلى الله سبحانه وتعالى حتى ينال أشرار العقوبة التي يستحقونها ويصبحون درسًا للآخرين. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيطلبون أجرًا حسنًا. كلمة (أما) هي امتداد لعواقب أولئك الذين يخطئون والذين يؤمنون ويعملون الصالحات. وقوله تعالى "وسنقول له من أمرنا يسرا" إنه تأكيد على أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سوف يخفون في شؤونهم (أبو السعود، ٢٠١١: ٥٢٩–٥٣٠).

ذهب الجمهور من المفسرين أن القوم المقصود في الآية الكريمة كانوا كفارا فخيره الله تعالى أن يعذب بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله تعالى "قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب" بالقتل من أول الأمر "وإما أن تتخذ فيهم حسنا" أي أمرا ذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة دعوة إلى الحق وإرشادا إلى ما فيه الفوز بالدرجات ومحل إن مع صلته إما الرفع على الابتداء أو على الخبر وإما النصب على المفعولية إما تعذيبك واقع أم إما أمرك تعذيبك أو إما تفعل

أو توقع تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ وتقديم التعذيب لأنه الذي يستحقونه في الحال لكفرهم وفي التعبير بإما أن تتخذ فيهم حسنا دون إما أن تدعوهم مثلا إيماء إلى ترجيح الشق الثاني. والمراد من قوله تعالى "قال أما من ظلم فسوف نعذبه" أن ذا لقرنين قال لذلك النبي مختارا للشق الأخير من شقي التخيير حسبما أرشد إليه. والمراد بقوله تعالى "وأما من آمن" أن بموجب الدعوة في توحيد الله تعالى. والمراد بـ"يسرا" أي سهلا ميسرا غي شاق وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر مبالغة (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٤٧١-٤٧٣).

تضمّ الآيات الكريم بأنواع عملية الاتصال اللغوي من التفويض والتحزيم لمناقشة قصة ذي القرنين في حواره مع الله تعالى عن القوم.

القسم الثاني – القرنين و القوم (الآية ٩٤ – ٩٨)

سياق الكلام في الآيات استغناء القوم من ذي القرنين عن خرجهم الذي عرضوه عليه على أن يجعل لهم سدا بينهم وبين يأجوج ومأجوج. والوعد إما وعد من الله تعالى خاص بالسد أنه سيندك عند اقتراب الساعة فيكون هذا ملحمة أخبر بها ذو القرنين وإما وعد الله تعالى العام بقيام الساعة الذي يدك الجبال ويخرب الدنيا (الطباطبائي، ١٩٩٧: المجلد الثالث عشر: ٣٥٩-٣٦١).

قصة الاتصال بين ذي القرنين والقوم الذين تم العثور عليهم في جمع الممتلكات وعملية بناء سد لحصر يأجوج ومأجوج. قوله تعالى "قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدّا" ذكر أبو السعود (توفي ٩٨٢ هجرية) أن ذا القرنين في حواره مع الأشخاص الذين التقى بهم استخدم مترجمًا وسيطًا من جانبهم. ينقل الناس يأجوج ومأجوج الذين يدمرون الأرض، ويطلبون من ذول القرنين محاربتهم ببناء الحصون (السدود) حتى لا يخرجوا إلى الأرض. وأوضح قتادة رضي الله عنه أن الأتراك أتوا من يأجوج ومأجوج، لأن كلمة (ترك) تعني المغادرة، وتعني الأشخاص الذين تمكنوا من مغادرة السد. الحرف (الفاء) في (فهل) له معنى السؤال عن الغرض ومتطلباته. كما ورد أن كلمة (خرجا) لها أيضًا معنى الضرائب أو الاحتياجات التي يجب تقديمها إلى ذولقرنين، وكذلك الأنشطة التي يتم تنفيذها لمساعدة ذا القرنين في التغلب على يأجوج ومأجوج. والفاء في "فهل" لتفريع العرض على إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض.

والخرج المصدر أطلق على الخراج وهو الاسم لما أخرج. والخرج أخص من الخراج لأن الخرج المال يخرج مرة وهو التبرع والخراج المال يخرج متكررا ولزم أداؤه.

وقوله تعالى "قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما" أقرّ ذو القرنين أنه تم تكليفه من قبل الله سبحانه وتعالى لمساعدة هؤلاء الناس. ثم أمرهم ذو القرنين بمساعدة بعضهم البعض في الخير، أي التصدي ليأجوج ومأجوج ببناء سد. بينما أوضح جملة (بينكم وبينهم) التفريق بين القوم وعدوهم، يأجوج ومأجوج. والمراد بقوله تعالى "ما مكني" بالإدغام أي جعلني فيه الله تعالى مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الأسباب. والفاء في "فأعينوني" لتفريع الأمر بالإعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم أو على عدم قبول خرجهم و"أجعل" جواب الأمر وتقديم إضافة الظرف إلى ضمير المخاطبين في "بينكم وبينهم" على إضافته إلى ضمير يأجوج ومأجوج لإظهار كمال العناية بمصالحهم.

وقوله تعالى "آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا" وهي أمر من قبل ذي القرنين عند القوم. أوضح أبو السعود (توفي ٩٨٢ هـ) أن من المفروض كتب (آتوني بزبر الحديد) ولكن حذف الحرف (الباء) تخصيصا وتأكيدا لأوامر ذي القرنين أنه احتاج الحديد لتقوية وتغليف مبنى السدّ لحصر يأجوج ومأجوج. وعندما كان السد مرتفعًا، أمر ذو القرنين بتفجير السد الذي كان مغطى بالحديد المذاب الذي كان ساخنًا حتى جافًا وباردًا وصلبًا. وقوله تعالى "حتى إذا جعله نار قال آتوني أفرغ عليه قطرا " طلب ذو القرنين مرة أخرى الحصول على شظايا حديدية عندما اندلع السد. والمراد بقوله تعالى " آتوني زبر الحديد" طلب إيتاء الزبر لا ينافي أنه لم يقبل منهم شيئا لأن المراد من الإيتاء المأمور به الإيتاء بالثمن أو مجرد المناولة والإيصال وإن كان ما آتوه له لا إعطاء ما هو لهم فهو معونة مطلوبة وتخصيص زبر الحديد بالذكر دون الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن القوي في السد ووجودها أعزّ. والمراد من قوله " قال آتوني" فقد قرأ الأعمش وطلحة وحمزة وأبو بكر بحمزة الوصل "ائتوني" كأنه يستدعيهم للإغاثة باليد عند الإفراغ وإسناد الإفراغ إلى نفسه للسر الذي ووقفت عليه آنفا.

وقوله تعالى "فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا " حذف حرف (التاء) من الكلمة الأولى (اسطاعوا) الذي ينبغي أن يكون (استطاعوا) له معنى التأكيد على شكل سؤال ذي القرنين أن

هؤلاء لا يستطيعون فعل ما فعله ذو القرنين، حتى في حفر السدود بشكل صحيح. وقوله "قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا" التأكيد من قبل ذي القرنين على أن ما فعله كان شكلاً من أشكال محبة الله لهؤلاء الناس والبشرية جمعاء، مما عزّز أيضًا أن إرادة الله ووعده هو الحقيقة التي يجب أن تحدث (أبو السعود، ٢٠١١ : ٥٣١-٥٣٤). والمراد من قوله تعالى "اسطاعوا" بحذف التاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين في المخرج وهما الطاء والتاء ولأن يأجوج ومأجوج قد قصدوا أن يعلوه أي السد وينقبوه فلا يستطيعون أن يعلوه ويرقوا فيه لارتفاع السد وملاسته مائتي ذراع وقيل ألف وثمانمائة ذراع. وأو ضح المراد بقوله تعالى "فإذا جاء وعد ربي" أي وقت وعده تعالى فالكلام على حذف مضاف والإسناد إلى الوعد مجاز وهو لوقته حقيقة ويجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود وهو وقته أو وقوعه فلا حذف ولا مجاز في الإسناد بل هناك مجاز في الطرف والمراد من وقت ذلك يوم القيامة وقيل وقت خروج يأجوج ومأجوج وتعقب بأنه لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه. والمراد بقوله تعالى "حقا" أي ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة يذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية وتأكيد لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته (الألوسي البغدادي، بلا سنة: المجلد الخامس عشر والسادس عشر: ٤٧٩-٤٨٣).

تضمّ الآيات الكريمة بأنواع عملية الاتصال اللغوي من الاستفهام والتصريح والتوجيه والتحزيم لمناقشة قصة ذي القرنين مع القوم في بناء السدّ لحصار يأجوج مأجوج.

الخلاصة

القصص في سورة الكهف تناقش الموضوعات المهمة عن أصحاب الكهف وصاحب الجنتين من بني إسرائيل وقصة موسى والخضر عليهما السلام وذي القرنين ونرى كثرة صيغة المخاطبة في سورة الكهف صيغة الاستفهام الدالة على التلطف وحيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم لتعلم الرشد والخير والأدب. وكذلك بأنواع عملية الاتصال من الأخرى وهي التعبير والتحزيم والتفويض والتصريح والتوجيه.

و من خلال سورة الكهف ضرب الله تعالى مثلا للأخيار والأشرار، وقد بينت لنا بأسلوب بليغ أخاذ صور عاقبة الجاحدين المغرورين وحسن العاقبة للشاكرين المتواضعين. كما بينت لنا الآثار الطيبة التي تترتب على الإيمان والعمل الصالح والآثار السيئة التي يفضي إليها الكفر والأعمال السيئة.

ومن خلال نظرية علم الإتصال يمكننا أن نستفيد الدروس والعبر لكل قصة في سورة الكهف. من قصة أصحاب الكهف نستفيد بالدروس والعبر عن قوة الإيمان والصبر في حماية الإيمان والهجرة لسلامة الإيمان وصحبة المؤمنين الصالحين والتلطف للسلامة من الظلم. ومن قصة صاحب الجنتين نستفيد بالدروس والعبر عن وجوب الشكر على نعم الله تعالى وعدم التكبر في حياة الدنيا ومداومة ذكر حياة الآخرة. ومن قصة موسى والخضر نستفيد بالدروس والعبر على فريضة طلب العلم والصبر فيه لأن العلم من عند الله تعالى. ومن قصة ذي القرنين نستفيد بالدروس والعبر بأن رضا الله تعالى أساس قوي في الملك وتواضع الحاكم قدوة حسنة لشعبه عند المشاركة في مواجهة الظلم والتحديات لتحقيق الأمن العام.

المراجع

إبراهيم، محمد. *الإعجاز البلاغي في قصية الحذف في سورة الكهف*. Sibawayh Arabic Language and Education Vol.1 No.2, 2002.

ابن خلدون، عبد الرحمن. *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، دون السنة.

ابن خراف، ابتسام، *أفعال الكلام في قصة كليم الله موسى عليه السلام*، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة، ٢٠١٣.

ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير و التنوير*. تونس، دار سحنون. دون السنة.

الأزهري، أسامة السيد محمود. *الفهم المنير*. أبو ظبي، دار الفقيه، ٢٠١٥م.

الألوسي البغدادي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* . بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون السنة.

الباجوري، برهان الدين إبراهيم. *تحفة المريد على جوهرة التوحيد*. التحقيق و التعليق: علي جمعة. القاهرة، دار السلام، دون السنة.

الحنفي، محمد بن محمد بن مصطفى العاماوي. التحقيق: محمد صبحي حسن خلاق. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت، دار الفكر، ٢٠١١م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. التحقيق : عبد القادر أحمد عطا و مرزوق علي إبراهيم، *أسرار ترتيب القرآن*. القاهرة، دار الفضيلة، ٢٠٠١ م.

الشعراوي، محمد متولي. *سورة الكهف*. القاهرة، دار أخبار اليوم، دون السنة.

الطباطبائي، السيد محمد حسين. *الميزان في تفسير القرآن*. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م.

العسكري، أبو هلال. *الفروق اللغوية*. بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م.

الكرماني، محمود بن حمزة . التحقيق : عبد القادر أحمد عطا. *أسرار التكرار في القرآن*. القاهرة، دار الفضيلة، دون السنة.

طبارة، عفيف عبد الفتاح. *اليهود في القرآن*. بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨٦م.

طهراوي، نعيمة، *تداولية أفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف*، الصوتيات حولية أكاديمية دولية محكمة متخصصة، مخبر اللغة العربية وأدابها، جامعة البليدة، لونيسي علي، الجزائر، دون السنة)

طنطاوي، محمد سيد. *تفسير سورة الكهف*. القاهرة، قطلع المعاهد الأزهرية، دون السنة.

عتر، نور الدين. *علوم القرآن الكريم*. القاهرة، دار البصائر، ٢٠١٢م.

ناصف، حفني بك وأصدقاءه. *كتاب قواعد اللغة العربية*. جاكرتا، دار الكتب الإسلامية، ٢٠١٤م.

Faisol, M. *Struktur Naratif Cerita Nabi Khidir dalam al-Qur'an*. Adabiyyat, Vol. X No. 2, Desember, 2011.

Fatahizadeh, Fathieh. Zakeri, Marzieh. *A Structuralist Approach toward Surah Al-Kahf.* Journal of the Holy Quran and Islamic Text. Islamic Knowledge University, Volume 7. Issue 25, Spring 2016.

Idris, Mardjoko. *Tuturan Langsung Dan Tidak Langsung Dalam Al-quran*. Jurnal Adabiyah: Fakultas Adab, 2008

Narimani, Zohreh. Firoozmandi Bandpey, Jafar. Nasr, Zahra Javadi. *Explaining the Quiddity of Prophet Khidr (PBUH) with the Focus on Interpretive Analysis of Verses 60 to 82 of Surah Al-Kahf and Removing Doubts About It.* International Journal of Multicultural and Multireligious Understanding, Volume 8. Issue 10, Oktober 2022.